الأحرف المقطعة في فواتح سور القرآن الكريم: دراسة موضوعية تحليلية

د. ثابت أحمد أبو الحاج[1]

الملخص

تتناول هذه الدراسة الحروف المقطعة في فواتح سور القرآن من حيث: بيان وجوه معانيها، وكيفية قراءتها وكتابتها، وأقسامها، وبيان إعرابها، وكيفية الوقوف عليها، فإنَّ الحروف المقطعة في فواتح سور القرآن قد أثارت الجدل الكثير، وتعددت فيها وجوه التفسير والتأويل، حتى تجاوزت بعض الآراء حدود المعقول، وانحرفت عن جادة العلم والمنطق، فعند ذكر الأحرف المقطعة ينصرف الذهن أول ما ينصرف إلى السؤال عن معناها، والسؤال عن كيفية كتابتها وقراءتها، والسؤال عن إعرابها، وأحكام الوقف عليها، وما وجه الإعجاز والتحدي فيها، ويهدف البحث إلى تحقيق القضية علمياً بذكر أقوال العلماء ومناقشتها للوصول للمفهوم الأدق والأصوب من وجوه معانيها، خاصة ما يتعلق بالتحدي والإعجاز.

الكلمات الدالة: الأحرف المقطعة، الإعجاز، التحدي، حساب الجمل.

Separated Letters at the beginning of Some Suras in the Holy Quran

A Subjective Analytical Study

Thabit Ahmad Abu-Al-Haj

Abstract

This research aims to study the separated letters "Al Muqqatta'at" at the beginning of the Holy Quran Suras. *It deals with these letters through many aspects: their meaning its divisions, and how the reader can read and write them, these separated letters cause confusion and they are discussed differently. Many of ideas which the researchers come with go to the extreme without giving the exact meaning and showing the importance of these letters, This research deals in studying these letters according to scientific studies and the scientists saying to show the exact and real meaning of these letters. It addressed also how these letters are miraculous.*

Keywords: muqatta'at, miracle, challenge, abjad numerals.

[1] أستاذ مساعد بقسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالايا، كوالالمبور– ماليزيا: dr.thabethaj@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أهمية البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد...

فإن الحروف المقطعة في فواتح السور قد أثارت الجدل الكثير، وتعددت فيها وجوه التفسير والتأويل، حتى تجاوزت بعض الآراء حدود المعقول، وانحرفت عن جادة العلم والمنطق، فعند ذكر الأحرف المقطعة ينصرف الذهن أول ما ينصرف إلى السؤال عن معناها، والسؤال عن كيفية كتابتها وقراءتها، والسؤال عن إعرابها وأحكام الوقف عليها، وما وجه الإعجاز والتحدي فيها، ومن هنا كان الدافع لكتابة هذا البحث، لتمحيص هذه الأقوال وبيان صحيحها من سقيمها،خاصّةً الوقوف أكثر على بيان وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة ومناقشة الاراء الواردة فيها .

أهداف البحث:

١. بيان أقسام الأحرف المقطعة،وكيفية كتابتها وقرائتها.
٢. بيان أقوال العلماء الواردة في الاحرف المقطعة.
٣. مناقشة الأقوال الواردة للوصول لأدق المعاني للأحرف المقطّعة.
٤. بيان إعرابها، وكيفية الوقوف عليها.

الدراسات السابقة:

غالباً ما يعرض المفسرون للحروف المقطعة في فواتح السور في ثنايا كتبهم، ومع ذلك وحتى كتابة هذا البحث لم بعثر الباحث إلّا على دراسة واحدة تناولت هذ االموضوع بالعناية وهو كتاب بعنوان:

- **وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة**، للاستاذ الدكتور فهد الرومي، طبع بمكتبة التوبة، الرياض، (١٤١٧هـ).

وقد أدار الشيخ- حفظه الله- كتابه في الإجابة على سؤال: ما وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة؟ وذلك بجمع أقوال العلماء -رحمهم الله تعالى- ومناقشتها ، وبيان صحيحها من ضعيفها ، إذ إن هذه الأقوال منها ما هو قريب معقول ، ومنها ما هو بعيد متكلف ، ومنها ما هو مردود ومرفوض.

أمّا هذه الدراسة فتتناول الاحرف المقطعة من جميع جوانبها: معناها، والأراء الواردة فيها ،ومناقشتها للوصول للفهم الاصوب بإذن الله،وبيان إعرابها وكيفية الوقوف عليها، من غيرإسهابٍ مملٍ ولا اختصارٍ مخل بإذن الله، كما هو مبيّن في هيكل البحث.

منهج البحث:

حتى تتحقق أهداف الدراسة،سلك الباحث المنهجين: الاستقرائي الموضوعي، والتحليلي،على النحو الآتي:

- المنهج الاستقرائي الموضوعي: وذلك بجمع النصوص الشرعية التي لها علاقة بموضوع البحث، واستقراء أقوال العلماء في الموضوعات ذات العلاقة، ولذلك لتحديد موضوعات البحث وعناصره.
- المنهج التحليلي: وذلك بتتبع المعلومة في مظانها بالرجوع إلى أمهات المصادر، ثمّ تصنيفهاحسب موضوعاتها، ثمّ عرضها وتحليلها.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في: مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وفيها بيان أهمية الدراسة والباعث عليها، وأهدافها، والدراسات السابقة،وهيكل الدراسة، ومنهجها.
- **التمهيد:** تقرير بعض القضايا المتعلقة بالأحرف المقطعة في فواتح السور.
- **المبحث الأول:** أقوال العلماء في الأحرف المقطعة.
- **المبحث الثاني:** مناقشة القول: أن الحروف المقطعة للتحدي والإعجاز، وبيان الأوجه في ذلك.
- **المبحث الثالث:** مناقشة القول :كونها أسماء للسور.
- **المبحث الرابع:** مناقشة القول: أن الإعجاز فيها حساب الجمل.
- **المبحث الخامس:** إعرابها وكيفية الوقوف عليها.
- **الخاتمة:** تقرير نتائج الدراسة.

تمهيد: بين يدي الدراسة

أولاً: الاستفتاح بأحرف التهجي:

وردت حروف التهجي في فواتح تسعٍ وعشرين سورة وهي:

سورة البقرة (ألم)، سورة آل عمران (ألم)، سورة الأعراف (ألمص)، سورة يونس (ألر)، سورة هود (ألر)، سورة يوسف (ألر)، سورة الرعد (ألمر)، سورة إبراهيم (ألر)، سورة الحجر (ألر)، سورة مريم (كهيعص)، سورة طه (طه)، سورة الشعراء (طسم)، سورة النمل (طس)، سورة القصص (طسم)، سورة العنكبوت (ألم)، سورة الروم (ألم)، سورة لقمان (ألم)، سورة السجدة (ألم)، سورة يس (يس)، سورة ص (ص)، سورة غافر (حم)، سورة فصلت (حم)، سورة الشورى (حم * عسق)، سورة الزخرف (حم)، سورة الدخان (حم)، سورة الجاثية (حم)، سورة الأحقاف(حم)، سورة ق (ق)، سورة القلم (ن).

وهذه الحروف من غير المكرر أربعة عشر حرفاً؛ أي نصف حروف الهجاء، وقد جمعت في قولهم: "نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ له سرٌّ".

ثانياً: طريقة قراءة الأحرف المقطعة:

لا تُقرأ هذه الأحرف كالأسماء مثل باقي الكلمات، بل تقرأ حرفاَ حرفاً بصورة متقطعة، ومن أجل ذلك سميت بالحروف المقطعة.

فننطق (ألم) بهذه الكيفية: (ألفْ لامْ ميمْ)، وننطق (طسم) بهذه الكيفية: (طاءْ سينْ ميمْ)، وهكذا بالنسبة للبقية، مع ملاحظة تسكين الأواخر باستمرار.

ثالثاً: أقسام الأحرف المقطعة

- تصنف الحروف المقطعة على أساس المباني إلى:

1. ذات الحرف الواحد: ص، ق، ن.
2. ذات الحرفين: طه، طس، يس، حم.
3. ذات الثلاثة أحرف: الم، الر، طسم.
4. ذات الأربعة أحرف: المص، المر.
5. ذات الخمسة أحرف: كهيعص، حم عسق.

- وعلى أساس تكرارها: فمن الحروف المقطعة ما تكرر في فواتح السور، فجاء على النحو الآتي:

١. ما افتتحت به ست سور: ألم، حم.

٢. ما افتتحت به خمس سور: ألر.

٣. ما افتتحت به سورتان: طسم.

٤. ما افتتحت به سورة واحدة: المص، ألمر، كهيعص، طه، طس، يس، ص، حم عسق، ق، ن.

- وتسمى السور المفتتحة بـ(طسم) و(طس): الطواسيم أو الطواسين، وتسمى السور المفتتحة بـ(حم): الحواميم.

رابعاً: قضايا تأصيلية في الأحرف المقطعة:

ينبغي توضيح بعض الأمور قبل ذكر أقوال العلماء في الأحرف المقطعة:

أولاً: أنه لم يثبت عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– حديث مرفوع في معنى هذه الأحرف، ومن ثم فإن القول في تفسيرها لا سند له من الكتاب، أو السنة الصحيحة بالنص.

ثانياً: أن افتتاح الكلام بالأحرف الهجائية المقطعة أسلوب لم يكن معروفاً عند العرب، ولم يألفوه من قبل وإنما كان أسلوباً جديداً، ولذا فلن نجد لها شاهداً من كلام العرب.[٢]

ثالثا: إذا لم يكن تفسير هذه الأحرف لم يرد في الكتاب ولا في السنة وليس له شاهد من لغة العرب، فإن الأقوال فيها محض تخرصات، ولا يصحُّ أبداً أن يجزم أحد بمعناها.

قال الشوكاني رحمه الله تعالى: " اعلم أن من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جازماً بأن ذلك هو ما أراده الله عز وجل قد غلط أقبح الغلط، وركب في فهمه ودعواه أعظم الشطط، فإنه إن كان تفسيره لها بما فسرها به راجعاً إلى لغة العرب وعلومها، فهو كذب بحت فإن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك...". [٣]

---

٢. ينظر: الرومي، فهد. وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة، مكتبة التوبة السعودية،(١٤١٧هـ)، ص١٠-١١.

٣. الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط٢، (١٣٨٣هـ)، ج١، ص٣٠.

ومع هذا فإن من أقوال المفسرين لها ما هو مقصود وقريب، ولا عيب فيه إلا عدم الدليل، ومنها ما يفقد الدليل مع البعد والغرابة والشطط والتكلف.

رابعاً: أن النطق بها نطق بأسماء الحروف لا مسماها: وبيانه:

- ضاد: اسم سمي به "ضه"
- را، با: أسماء لقولك "ره" "به"

حيث جعل المسمى صدر كل اسم إلا (الألف) فلإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها، لأنه لا يكون إلا ساكناً.

وأما شاهد العلماء في ذلك فهو ما قاله الزمخشري: أنه عثر على نصٍ من جانب الخليل وفيه:" قال سيبويه: قال الخليل يوماً: – وسأل أصحابه– كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء في ضرب؟ قالوا: نقول باء ،كاف، فقال: إنما اتيتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: كه،به" [٤]

وكثيرٌ من العلماء نقل هذا القول عن الكشاف، وبعضهم عزاه له وبعضهم لم يعزه، وإن كان أول من أظهره، والله تعالى أعلم.

المبحث الأول

أقوال العلماء في الأحرف المقطعة

فيما يلي أبرز أقوال العلماء في معانيها، وهي أقوال كثيرة زادت على العشرين[٥]، فمنها:

١. أنها علم استأثر الله تعالى به، ونسب هذا القول إلى الخلفاء الأربعة في روايات ضعيفة.
٢. أنها حروف مقتضبة من أسماء الله تعالى وصفاته المفتتحة بأحرف مماثلة لهذه الحروف المقطعة. فالألف إشارة إلى أحد، واللام إلى لطيف، والميم إلى ملك، وهذا محض تخرص.
٣. أنها رموز إلى أسماء الله تعالى أو أسماء الرسول – صلى الله عليه وسلم– أو أسماء الملائكة، فالألف مثلاً من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد، وهذا القول كسابقه، ولا يقوم عليه دليل.
٤. أنها أسماء الملائكة.

---

[٤]. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت،(١٤٠٦هـ)، ج١، ص٦٤.

[٥].ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ج١، ص٢٠٧–٢١٥، و الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، (١٤٢٢هـ)، ج١، ص٢٥٢–٢٥٤.

٥. أنها رموز لمدة بقاء محمد صلى الله عليه وسلم بحساب الجمل.

٦. أنها موز لمعانٍ مختلفة فـ (ألم): أنا الله أعلم و (ألمر): أنا الله أرى، وهكذا دواليك، ولا دليل عليه.

٧. أنها إشارات إلى أحوال من تزكية القلب، وحاصله أن جملة الحروف الواقعة في أوائل السور على تكرار الحروف ثمانية وسبعون حرفاً، فهي إشارة إلى شعب الإيمان الورادة في الحديث " الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة" [٦]، فهذه الحروف هي شعب الإيمان، والتوافق العددي لا يعني حجية هذا القول.

٨. أنها أسماء للسور الواقعة فيها. [٧]

٩. أنها أسماء للقرآن الكريم، ولا دليل عليه.

١٠. أن المركب من هذه الحروف هو من أسماء الله تعالى مثل (كهيعص)،و (حم عسق)، وهو بعيد منكر لا حجة فيه ولا دليل عليه.

١١. أنها أفعال وليست بأسماء فإن حروف (ألم) هي حروف بمعنى: نزل فالمراد بـ (ألم * ذلك الكتاب) أي: نزل عليكم ذلك الكتاب، وهو قول باطل من جهة، ومن جهة أخرى لا يأتي في بقية الحروف.

١٢. أنها أقسام أقسم الله بها كما أقسم بالقلم، لإن مسمياتها تألفت من أسماء الله تعالى وكتابه الكريم وغير ذلك، وهو كما أسلفت ضعيف من جهة الأسماء، وباطل لعدم وجود حرف القسم وهو لا يحذف إلا مع لفظ الجلالة كقولك: آلله لأفعلن.

١٣. أنها تعليم للحروف المقطعة حتى إذا وردت عليهم بعد ذلك مؤلفة، كانوا قد علموها كما يتعلم الصبيان الحروف المقطعة.

١٤. أنها للتنبيه مثل النداء المقصود به التنبيه.

١٥. أنها علامة لأهل الكتاب وعدوا بها من قبل أنبيائهم أن القرآن يفتتح بحروف مقطعة,

١٦. أن الحروف المقطعة بحساب الجمل تشير إلى مدة آجال أُمة الإسلام والأقوام الآخرين.

١٧. أنها للدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر، فالمراد بها الدلالة على انتهاء سورة وابتداء أخرى.

١٨. انها وردت هكذا ليقبل الكفار على سماع القرآن لطلب فهم المراد منها.

١٩. أن قوماً سيقولون بقدم القرآن فأراهم الله أنه مؤلف من حروف كحرف الكلام وهذا وهم لا يستدل به.

---

٦. مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، ط٣، (١٤١٦هـ)، ج١،ح٥٧، ص٢٠٢، ويرد هذا القول أن رواية مسلم فيها (أو بضع وستون).

٧. وهو أمر رجحه الزمخشري انظر: الكشاف، مرجع سابق،ج١، ص٦٤.

٢٠. أنه ثناء أثنى الله تعالى به على نفسه.

فكما ترى أن كثير من هذه الأقوال ظاهر الضعف بعيد مستنكر، يحمل الرد عليه منه، وما يعنينا في هذا المقام مناقشة الأقوال التي كانت موضع اتفاق عند العلماء، ولاقت استحسانهم، **وأبرز هذه الأقوال:**

١. أنها وجه من وجوه الإعجاز، لتبكيت المعاندين، وتسجيلاً لعجزهم عن المعارضة، لأن هذا الكلام المتلو من جنس ما ينظمون منه كلامهم، وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار، وبهذا يظهر عجزهم عند التحدي.[٨]

٢. أنها أسماء للسور الواقعة فيها.[٩]

٣. أن وجه الإعجاز فيها هو حساب الجمل.

المبحث الثاني

مناقشة القول: أن الحروف المقطعة للتحدي والإعجاز

وبيان هذا القول: أن القرآن لم يكتف بالتحدي مرة واحدة، بل برز إليهم مكرراً تحديه عدة مرات، مستثيراً للهمم وموقظاً لها،ومسفهاً لأحلامهم،وساخراً وناقضاً لمعتقداتهم، ومبطلاً لمبادئهم وعاداتهم، مما يرفع درجة التحدي إلى أعلاها، ويظهر هذا التحدي من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول:

فهو حين يقول: (ألم) يقول بعدها: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين) البقرة: ١، أو يقول: (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) لقمان: ٢، أو يقول: (طسم) يقول بعدها (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) النمل: ١، أو يقول: (طسم) يقول بعدها (تلك آيات الكتاب المبين) القصص: ٢.

وهكذا نجد في الآيات الأخرى التالية للأحرف المقطعة، نجدأنّها تتحدث عن القرآن الكريم، وكأنما في هذا إشارة إلى أن القرآن الكريم الذي تحداكم الله سبحانه وتعالى به، إنما هو مؤلف من هذه الأحرف التي تقرأون بها، وبها تكتبون، وهي الألف واللام والميم والطاء والسين...الخ، وهي حروف تعقلونها وتعرفونها وتبنون كلامكم منها، فليست مادة هذا القرآن المعجز ببعيدة عن متناولكم، وليست بشيءٍ لا تعرفونه، فدونكم إياها إن استطعتم الإتيان بمثلها.

---

٨. الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ص٦٤.

٩. ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ٢٠٨.

ولا شك أن في إلقائك لخصمك بقوسك وسهمك متحدياً له أن يفعل مثل ما فعلت، إثارةٌ وأي إثارة، وأيّ تحدٍّ عظيم،ومما يشهد لهذا الرأي ويقويه أن هذه الأحرف التي استهلت بها السور المكية – إلا سورتي البقرة وآل عمران–،قد جعلت من ضوابط السور المكية، ومعلومٌ أن التحدي بالقرآن قد وجّه أصلا للخصوم المعاندين، وهم أهل مكة، فصِلَةُ هذه الأحرف الإعجاز والتحدي هنا ظاهرة. [١٠]

ذهب إلى تأييد هذا الرأي والاحتجاج به أئمة وعلماء كبار منهم :

١. فقد نقل الأنباري (ت: ٣٠٤هـ)، عن الفراء(ت: ٢٠٧هـ) قوله:"(طه) بمنزلة (ألم) ابتداء الله عز وجل بها مكتفياً بها من جميع حروف العجم ليدل العرب على أنه أنزل القرآن على نبيه باللغة التي يعلمونها، والألفاظ التي يعقلونها كي لا تكون لهم على الله حجة". [١١]

٢. ونقل الزجاج(ت: ٣١٠هـ)، عن قطرب(ت: ٢٠٧هـ)، قوله: "إن (ألم) و(ألمص) و(كهيعص) و(ق) و(يس) و (ن) حروف المعجم ذكرت لتدل على أن هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف المقطعة التي هي حروف أ، ب،ت، ث، فجاء بعضها مقطعاً، وجاء تمامها مؤلفاً، ليدل القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه بحروفهم التي يعقلونها لا ريب فيه". [١٢]

٣. ونقل أبو الليث السمرقندي(ت: ٣٧٣هـ)، عن بعضهم – ولم يسمِّه– " أن المشركين كانوا يقولون: لا نفقه هذا القرآن لأنهم قالوا: (قلوبنا في أكنَّةٍ) فصلت: ٥، فأراد أن يبين لهم أن القرآن مركب على الحروف التي ركبت عليها ألسنتكم، يعني هو على لغتكم، فما لكم لا تفقهون؟ وإنما أراد بذكر الحروف: تمام الحروف، كما أن الرجل يقول: علمت ولدي أ، ب، ت ، ث... وإنما يريد به جميع الحروف ولم يرد به الحروف الأربعة خاصة". [١٣]

٤. وقال الراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٨هـ) : "إن المفهوم الأظهر بلا واسطة ما ذهب إليه المحققون، كالفراء وقطرب وهو قول ابن عباس وكثير من التابعين... وهو: أن هذه الحروف لما كانت من عنصر الكلام ومادته التي تركب منها بين تعالى أن هذا الكتاب من هذه الحروف التي أصلها عندكم، تنبيهاً على إعجازهم، وأنه لو كان من عند البشر لما عجزتم – مع تظاهركم– على معارضته". [١٤]

---

١٠. ينظر: الزركشي، بدر الدين بن محمد، الرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص١٨٩.

١١. الأنباري، محمد بن القاسم، الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان،(١٤٠٧هـ)، ص٤٠٤–٤٠٥،

= وينظرأيضاً : ابن عطية، أبو محمد، المحرر الوجيز، تحقيق المجلس العلمي، فاس،(١٣٩٧هـ)، ج١، ص، ١٣٩والقرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، دمشق،(١٤١٤هـ)، ج١، ص١٣٩.

١٢. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتاب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ج١،ص٥٥–٥٦.

١٣. السمرقندي، أبي الليث، بحر العلوم، تحقيق: د. عبد الرحمن الزقة، مطبعة الإرشاد، بغداد،(١٤٢٠هـ)، ج١، ص٢٥١.

١٤. الأصفهاني، الراغب، مقدمة جامع التفاسير، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط١،(١٤٠٥هـ)، ص١٠٥.

٥. وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "إنما جاءت هكذا مسرودة على نمط التعديد للإيقاظ وقرع العصا لمن تُحدي بالقرآن وبغرابة نظمه، في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم، كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم، وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وأهل الفن في القصيدة والرجز، وذلك ثبت أنه ليس بكلام البشر، بل كلام خالق القوى والقدر".[١٥]

٦. وقال الرازي(ت: ٦٠٦هـ):" إن الله تعالى إنما ذكرها احتجاجاً على الكفار، وذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– لما تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة فعجزوا عنه، أنزلت هذه الحروف تنبيهاً على أن القرآن ليس إلاّ من هذه الحروف، وأنتم قادرون عليها، وعارفون بقوانين الفصاحة، فكان يجب أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزتم عنه دلَّ ذلك على أنه من عند الله لا من عند البشر".[١٦]

٧. وقال البيضاوي(ت: ٦٩١هـ)، :" إنها إيقاظٌ لمن تُحدي بالقرآن، وتنبيهاً على أن أصل المتلو عليهم كلام منظوم منه كلامهم.. ثم وصف هذا القول بأنه أقرب إلى التحقيق وأوفق للطائف التنزيل وأسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الإعلام" [١٧]

٨. وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، –رحمه الله تعالى–: ".... بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب غير واحد من العلماء المحققين... وحكاه لي شيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي نقلاً عن الشيخ الإمام ابن تيمية" (ت: ٧٢٨هـ) [١٨].

٩. وقال القاضي أبو السعود العمادي(ت: ٨٨٢هـ): " ولكن الذي عليه التعويل، إما كونها أسماء للسورالمصدرة بها وعليه إجماع الأكثر، وإليه ذهب الخليل وسيبويه، قالوا سميت بها: إيذاناً بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ، فيكون فيه إيماءٌ إلى الإعجاز والتحدي على سبيل الإيقاظ، فلولا أنه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته". [١٩]

---

[١٥]. الزمخشري: الكشاف، مرجع سابق، ج١، ص٦٥.

[١٦]. الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٧–٢٥٨.

[١٧]. البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،(١٤٢٠هـ)، ج١، ص٤٢.

[١٨]. ابن كثير، عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ط٢،(١٤١٢هـ)، ج١، ص٣٧–٣٨.

[١٩]. أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،(١٤٢٠هـ)، ج١، ص٤٢.

١٠. أما الأستاذ رشيد رضا(ت: ١٣٥٤هـ)، وفي سياق الحديث عن إعرابها... قال: " إن عدم إعرابها يرجح أنَّ حكمة افتتاح بعض السور المخصوصة بها للتنبيه لما يأتي بعدها مباشرة من وصف القرآن، والإشارة إلى إعجازه....". [٢٠]

١١. وقال ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ): " ... والذي نختاره وتظهر المناسبة لوقوعها في فواتح السور، أن كل سورة مقصودة بالإعجاز لأن الله تعالى يقول: (فأتوا بسورة من مثله) البقرة: ٢٣، فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد لمحاولته، ويؤيد هذا القول أن التهجي ظاهرة في هذا المقصد، فلذلك لم يسألوا عنه بظهور أمره، وأن التهجي معروف عندهم للتعلم، فإذا ذكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم، عرف السامعون أنهم عوملوا معاملة المتعلم، لأن حالهم كحاله من العجز عن الإتيان بكلام بليغ". [٢١]

١٢. أما الأستاذ سيد قطب (ت: ١٣٨٦هـ)، فهو مبدع دائما في استنباط الإشارات إلى دقائق المعاني... فبعد أن ذكر الوجوه في الأحرف المقطعة قال: "... نختار منها وجهاً، إنها إشارات للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف وهي في متناول المخاطبين من العرب – ولكنه مع هذا- هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله... ثم يقول: وهكذا القرآن، حروف وكلمات يصوغ فيها البشر كلاماً وأوزاناً، ويجعل الله منها قرآناً وفرقاناً، والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات، هو الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض... هو الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقة الحياة!". [٢٢]

والهدف الذي لأجله حرصت على سوق عبارات القائلين بهذا الرأي هو بيان مدى قبول أئمة التفسير لهذا الرأي وحرصهم على تقريره وبسطه.

وكما أسلفت فهذا هو الوجه الأول في التحدي والإعجاز، وإليكم الوجه الثاني المؤيد للقضية والمثبت عليها.

الوجه الثاني:

---

[٢٠]. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار المنامة، مصر، ط٤،(١٣٧٣هـ)، ج١، ص١٢٢.

[٢١]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص١٩٨-١٩٩.

[٢٢]. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دارالشروق، ط٢١،(١٤١٤هـ)، ج١، ص٣٨.

إن ورود هذه الأحرف بهذه الصفة من رجل أمي أمرٌ معجز وبيان ذلك وتفصيله ما ذكره الزمخشري حيث قال: " أن ترد السورة مصدرة بذلك، ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بوجهٍ من الإغراب وتقدمه من دلائل الإعجاز، وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام – الأميون منهم وأهل الكتاب – بخلاف النطق بأسامي الحروف، فإنه كان مختصاً بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم، وكان مستغرباً مستبعداً من الأميِّ التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة، كما قال الله عز وجل: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) العنكبوت: ٤٨،فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهل الكتاب لا في حكمهم ولا أقاصيصهم... و من قريش ومن دان بدينها ،بأن ذلك حاصل له من جهة الوحي، وشاهد بصفة نبوته...". (٢٣)

وذكر هذا القول أيضاً الرازي في تفسيره فقال: " إن التكلم بهذه الحروف وإن كان معتاداً لكل أحد، إلا أن كون مسماه بهذه الأسماء لا يعرفه إلا من اشتغل بالتعلم والاستفادة، فلما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عنها من غير سبق تعلم واستفادة كان ذلك إخباراً عن الغيب فلهذا السبب قدّم الله تعالى ذكرها ليكون أول ما جمع من هذه السورة معجزة دالة على صدقه. (٢٤)

ووصف البيضاوي هذا الوجه بأنه خارق للعادة واستدل له كما ذكر الزركشي في البرهان، واستدل له بآية العنكبوت السابقة. (٢٥)

وأورد ابن عاشور اعتراضاً على هذا الوجه، فقد وصفه بأنه: " بيّن البطلان لأن الأميَّ لا يعسر عليه النطق بالحروف....". (٢٦)

والصواب ما ذهب إليه ابن عاشور –رحمه الله تعالى– في أن الأمي لا يعسر عليه النطق بالحروف وبأساميها وكم سمعنا عن أمي ينطق بالحروف بأسمائها وهو لا يعرف صورتها ولا قراءتها ولا كتابتها، ولا يخرجه مجرد النطق بها من الأمية إلى العلم ومثاله: قول النبي – صلى الله عليه وسلم– : "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر

---

٢٣. الزمخشري، الكشاف، ، مرجع سابق، ج١، ص٧٠.

٢٤. الرازي، التفسير الكبير،، مرجع سابق، ج٢، ص٢٥٩.

٢٥. ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج١، ص٤٢، وانظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٧٦.

٢٦. ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٢٠١.

أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف" [٢٧]. فلم يقل أحد من العلماء أن هذا الحديث معجز، لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم– وهو أميّ نطق بالألف واللام والميم، وإنَّ ما ثبت من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الظاهرة البينة الكثيرة غنيٌّ عن مثل هذه التكلفات، والله المستعان.

الوجه الثالث:

أن فيها إعجازاً لغوياً وذلك أن الأحرف المقطعة في أوائل السور نصف حروف الهجاء، وهي أيضاً على أوجه من الوجوه التي اصطلح عليها علماء اللغة بعد نزول القرآن بزمن طويل. [٢٨]

وإلى هذا الوجه ذهب إليه بعض العلماء وفي مقدمتهم الباقلاني(ت:٤٠٣هـ)، والزمخشري: فقد بيّن الباقلاني – رحمه الله– وجه الإعجاز في هذا التقسيم فقال:" وإذا كان القوم الذين قسموا في الحروف هذه الأقسام لأغراض لهم في ترتيب العربية وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي – صلى الله عليه وسلم–، رأوا مباني اللسان على هذه الجهة، وقد نبه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر على حد التصنيف الذي وصفنا، دل على أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل، لإن ذلك يجري مجرى علم الغيوب... وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجهه" [٢٩].

ولكن عرض الزمخشري كان أشمل وأوفى، حيث قال:" وأعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في فواتح السور من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي:

الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والعين والياء والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم، وإذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك: أن فيها من المهموسة نصفها، ومن المجهورة نصفها، ومن الشديدة نصفها، ومن الرخوة نصفها،ومن المطبقة نصفها،ومن المنفتحة نصفها،ومن المستعلية نصفها، ومن المنخفضة نصفها، ومن القلقلة نصفها، ثم إذا استقريت الكلم

---

[٢٧]. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،(١٤١٢هـ)، كتاب فضائل القرآن، ح٢٩١٠، ص٧٧٥، من حديث عبد الله بن مسعود. وقال حديث حسن صحيح.

[٢٨].ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص١٤١.

[٢٩]. الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، نسخة مصورة، ص٦٩–٧٠.

وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكور منها، فسبحان الذي دقّت في كل شي حكمته...".[٣٠]

وبهذا قال البيضاوي وفصّله وزاد عليه أقساماً أخرى من غير إشارة للزمخشري والباقلاني [٣١]، كما نقل ابن كثير قول الزمخشري [٣٢] مجملاً، أما ألآلوسي فقد وصف هذا المعنى بأنه من عجائب هذه الفواتح [٣٣] وذكره الزركشي الذي تعقب الزمخشري وأضاف على كلامه... [٣٤]

الاعتراضات على هذا الوجه:

لا شك أنه يرد على هذا الوجه اعتراضات عدة، وأول من عارضه من المفسرين أبو حيان الذي قال: " وقد أطال الزمخشري وغيره الكلام على هذه الحروف بما ليس يحصل منه كبير فائدة في علم التفسير، ولا يقوم على كثير من دعاويه برهان..." [٣٥]

ومن أشهر المعارضين لهذا الرأي الإمام الشوكاني(ت:١٢٥٥هـ)، حيث قال:"...ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها، وذلك النصف مشتمل على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الأوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهليٍّ ولا إسلاميٍّ، ولا مقرٍ ولا منكرٍ ولا مسلّمٍ ولا معارضٍ، ولا يصح أن تكون مقصداً من مقاصد الرب سبحانه الذي أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به... وهب أن هذه الصناعة عجيبة ونكتة غريبة، فليس ذلك مما يتصف بفصاحة ولا بلاغة، حتى يكون مفيداً أنه كلام بليغ أو فصيح..." [٣٦]

وأمّا أهم المآخذ والردود على هذا الرأي فمنها:

---

٣٠. الزمخشري، الكشاف، ، مرجع سابق، ٧٢.

٣١. ينظر: البيضاوي، انوار التنزيل،، مرجع سابق، ج١، ص٤٢-٤٤.

٣٢. ينظر:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،، مرجع سابق، ج١، ص٣٧.

٣٣. ينظر:الآلوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، نسخة مصورة عن المطبعة الأميريه، القاهرة، ج١، ص١٠٠-١٠١.

٣٤. ينظر:الزركشي، البرهان،، مرجع سابق، ج١، ص١٩١.

٣٥. الاندلسي أبو حيان، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،(١٤٢٢هـ)، ج١، ص٣٥.

٣٦. الشوكاني، فتح القدير،، مرجع سابق، ج١، ص٢٩-٣٠.

أولاً: إن اختيار القرآن الفواتح الهجائية – وإن دلَّ على إعجازه حين ينظر إليه في ضوء الدراسات اللغوية– إلا أنه لم يبيّن أصلاً على أساس أن يكون في جملته وتفصيله نسخة من التقسميات المتبعة في هذه الدراسات.

ثانياً: أن القرآن كتاب له طبيعته الخاصة، وله أهدافه المحددة، وله رسائله البيانية في تحقيق هذه الأهداف، ويدخل في هذه الوسائل بلا شك الفواتح الهجائية – فهي تابعة أصلاً لأهداف الكتاب الذي أنزلت فيه – وليست منزلة لتكون لأنواع الحروف وأقسامها[٣٧].

ثالثاً: ليس هناك اتفاق أصلاً بين اللغويين والباحثين على نتائج هذه الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، ففي صفات الحروف مثلاً نجد أن الطاء والقاف من الأصوات المجهورة عند القدماء،وهما من الأصوات المهموسة عند المحدثين ... وهكذا، ويعلل البعض ذلك لاختلاف النطق بيننا وبينهم في هذه الأصوات، فبأيِّ معيارٍ نأخذ، والقضية مختلف فيها، في أن فيها النصف من كل نوع!

رابعاً: أن هذا الضبط الذي ذكر مستحيلٌ أصلاً، لأن هذه التصنيفات في الحروف متعددة متنوعة؛ فمنها ما هو زوجي العدد، ومنها ما هو مندرج في غيره، فكيف يمكن الاتيان بالنصف؟ ومثاله: حروف القلقلة الخمسة (قطب جد).

والراجح لديَّ بما نقلته من ردود، هو عدم اعتبار هذا الوجه من أوجه الإعجاز في حروف فواتح السور،وإن كان فيه بعض اللطائف والنكات.

المبحث الثالث

مناقشة القول: أنها أسماء للسور الواقعة فيها

حكى هذا القول غير واحدٍ من المفسرين وفيما يلي إجمال أقوالهم في اعتبار هذا الوجه:

- قال الزمخشري في معرض إجابته على سؤال طرحه وهو: "ما وجه وقوعها في فواتح السور؟ فأجاب: "قلت أحدها وعليه إطباق الأكثر: أنّها أسماء للسور، وقد ترجم صاحب الكتاب (سيبويه) الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بِـ: " باب أسماء السور"[٣٨]

---

٣٧. فهد الرومي، وجوه التحدي والإعجاز، ، مرجع سابق، ص٤١-٤٢.

٣٨. الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ص٦٤.

- وقال أبو حيان: " (ألم) أسماء مدلولها حروف المعجم، ولذلك نطق بها نطق حروف المعجم" وهي موقوفة الآخر لا يقال: إنها معربة لأنها لم يدخل عليها العوامل فتعرب ولا يقال إنها مبنية لعدم سبب البناء ولكنها قابلة لتركيب العوامل عليها فنقول: هذه ألم " [٣٩]
- وقال القاضي أبو السعود:"... ولكن الذي عليه التعويل: إما كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر، وإليه ذهب الخليل وسيبويه، قالوا سميت بها إيذاناً بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ..." [٤٠]
- وأفرد الرازي مبحثاً متوسعاً في كون فواتح السور أسماءها وخلاصته: قوله:" والمختار عند أكثر المحققين من هذه الأقوال أنها أسماء للسور ؛ وهي إما أن تكون من أسماء الألقاب أو من أسماء المعاني..." [٤١]
- وقد جعله ابن عاشور في الأقوال الراجحة في المراد من فواتح السور حيث قال بعد ذكر أقوال العلماء المؤيدين لهذا القول مثل سيبويه والخليل والزمخشري والرازي: " ويعضده وقوع هاته الحروف في أوائل السور، فتكون هاته الحروف قد جعلت أسماء بالعلامة على تلك السور، وسميت بها كما تقول الكراسة ب، والرزمة ج.. الخ"[٤٢]

وقد ود على هذا الوجه بعض الاعتراضات منها:

- أن هذه الحروف لم تكن مستقلة عن الآتي في بعض فواتح السور مثل (ص والقرآن ذي الذكر) ص:١، و (ن والقلم وما يسطرون) القلم:١، و (الر تلك آيات الكتاب المبين) يوسف: ١، ولا يعقل أن الآية كلها اسم السورة. [٤٣]
- أن إجماع العلماء والمفسرين على أن أسماء السور توقيفي لا اجتهاد فيه، فمن أين أتيتم بهذا القول من أنها أسماء للسور، وليس في ذلك نص صحيح.
- أن التسمية بها خروج عن عادة العرب، وما ليس في لغتهم، لأن التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستكره عندهم ويؤدي إلى اتحاد الاسم والمسمى. [٤٤]

والحق يقال أنّه وكما أسلفت في التمهيد- أنه لا يُجزم بقولٍ في معاني الحروف المقطعة ولا يسلم من مناقشة، وحسبنا استحسانه إذا وجد له ما يؤيده، مثل قول شريح بن أبي أوفى العبسي قاتل محمد بن طلحة:

---

[٣٩]. أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ج١، ص١٥٥-١٥٦.

[٤٠]. أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، ج١، ص٣٢.

[٤١]. الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٥-٢٥٨.

[٤٢]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٢١١.

[٤٣]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٢١١.

[٤٤]. البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج١، ص١٥.

يذكرني حاميم والرمح شاغرٌ فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فجعل (حم) اسماً دالاً على سورة غافر، لأن محمد بن طلحة كان يتلو حين مقتله (اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) غافر: ٢٨.[٤٥]

المبحث الرابع

مناقشة القول: أنها رموز لمدة دوام هذه الأمة بحساب الجمّل[٤٦]

ومستند القائلين بهذا الرأي ما رواه محمد بن إسحاق في السيرة ونقله عنه الطبري في تفسيره عن جابر بن عبد الله قال: " جاء أبو ياسر بن أخطب وحيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (ألم) وقالوا: هذا أجل الأمة بالسنين: إحدى وسبعون سنة، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم (ألمص) (ألمر) فقالوا اشتبه الأمر علينا". [٤٧]

وقد رُدَّ هذا الحديث سنداً ومتناً وعقلاً:

أما السند: فقد قال ابن كثير: " هذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو لا يُحتجُّ بما انفرد به[٤٨] وقال الشوكاني: " سندٌ ضعيف"[٤٩]، وقال الأستاذ أحمد شاكر: " هذا إسناد ضعيف جاء معلقاً...والعجيب أن ابن جرير– رحمه الله تعالى– قد استدل بهذا الحديث مع وصفه لمحمد بن السائب الكلبي بأنه ممن يجوز الاحتجاج بنقله... والعجيب أيضاً أن يرضى الطبري بهذه الروايات المتهافتة، ويرضى هذا التأويل المستنكر بحساب الجمل"[٥٠].

أما المتن: فعلى فرض الصحة:

---

٤٥ . الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ص٦٥، وانظر: عند الحافظ ابن حجر في تخريجه، في شرحه لصحيح البخاري، ج١، ص٢١.

٤٦.وهي طريقة حسابية أدخلها اليهود إلى علومهم ونقلها العرب عنهم،يرمز فيها لكل حرف برقم على ترتيب أبجد هوز، فمثلاً: الألف=١، والميم =٤٠.

٤٧. الطبري، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر ومحمد شاكر، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ، ج١، ص١٧٤.

٤٨. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج١، ص٣٨.

٤٩. الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج١، ص٣١.

٥٠. الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج١، ص٢١٨–٢٢٠.

١. فتبسم الرسول –صلى الله عليه وسلم– هو تعجبٌ من جهلهم، وإبطال لما فهموه[٥١].

٢. أن الأمر اختلط على اليهود أنفسهم فما عادوا يحسنون لا الحسبة ولا التخمين، وهذا ظاهرٌ من نص الحديث بطريق النقض في الجدل.

٣. وإذا جمعنا جميع الحروف المقطعة في فواتح السور بالمكرر وغير المكرر لكانت الحسبة أطمُّ وأعظم.

٤. ولو كان الرسول –صلى الله عليه وسلم –يريد دعوتهم لدين الله بحساب الجمّل لدفع إليهم الأعداد جميعاً فاستكثروا المدة والزمان ولكنه لم يفعل بادئ الأمر.

وأما عقلاً:

١. أن هذه الطريقة حسابية يهودية تلقوها عن سحرة بابل، ويستخدمها السحرة والمنجمون والكهان في طلاسمهم ورموزهم، وهو حساب لا أصل له في الشريعة[٥٢].

٢. أن هذا القول لا مستند له من النقل ولا من العقل، فالوجوه في تأويل معاني الحروف المقطعة كثيرة فكيف نقصرها على وجه ونبطل أقوالاً أكثر دقة وأحسن اعتباراً.

٣. أن هذا الحساب لم يُعتمد عند المسلمين قط، بل وقل في العالم أجمع فنحن نرى لغة الحساب اليوم، ولو صح لما جهل أمره.

٤. قال ابن كثير: " وأمّا من زعم أنها دالة على معرفة الُمدَد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد أدى ما ليس له، وطار في غير مطاره"[٥٣].

٥. ولو صحَّ هذا الحساب لتعارض مع عقيدتنا في القضاء والقدر،ومعرفة الله جل وعلافي الآجال والأرزاق، ولرَكَنَ الناس في دنياهم ومعاشهم، وحاشا لنا أن نقول بذلك أو نعتقده.

بعد مناقشة أبرز الأقوال في معاني الحروف المقطعة في المباحث الثلاثة السابقة يرجح لي أنها جاءت للإعجاز والتحدي لظهور هذا القول على غيره، ولقلة الاعتراضات عليه، واستحسان كونها أسماء للسور، وبطلان القول أنّ الإعجاز فيها كونها من حساب الجمل... والله تعالى أعلم.

---

٥١. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٨، ص٢٠٩.

٥٢. ينظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٨

٥٣. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج١، ص٣٨.

المبحث الخامس

إعرابها وكيفية الوقوف عليها

أولاً: الإعراب: [٥٤]

القول الأول: من جعلها على قسمين:

١. ما لا يتأتي فيه إعراب، أي: (على الحكاية)، نحو (كهيعص، المر)

٢. ما يتأتى فيه الإعراب والحكاية، وهو باقي الحروف الواقعة في فواتح السور، وبيانه:

أما الإعراب: فعلى الأوجه الثلاثة:

الرفع: على الابتداء(ألم ذلك الكتاب)، أو الخبرية (هذه ألم)

النصب: على المفعولية، مثل: قرأت(ألم)، سمعت (حم).

الجر: على تقدير: أبدأ بِـ (ألم) ،أبدأ بِـ (يس)، أو على تقدير القسم فيمن جعلها مقسماً بها وهو ضعيف لعدم وجود حرف القسم الذي لا يحذف إلا مع لفظ الجلالة.

وأما الحكاية:

- فهي أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى.

  مثل: بدأت بالحمد لله.

- وقول الشاعر: تنادوا بالرحيلُ غداً وفي ترحالهم نفسي

القول الثاني: من لم يجعلها أسماء للسور، لم يتصور أن يكون لها محل من الإعراب في مذهبه، كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعدودة.

ثانياً: حكمها في باب الوقف:

---

٥٤. ينظر: الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق،ج١، ص٦٥، أبو حيان، البحر المحيط،مرجع سابق، ج١، ص١٥٤، البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج١، ص١٥، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، ج١، ص٣٤-٣٥.

يوقف عليها وقف التمام إذا حملت على معنىً مستقل غير محتاج إلى مابعده، أو جعلت خبراً لمبتدإٍ محذوف أي: (هذه حم) ، ولا يوقف عليها وقف التمام إذا جعلت مبتدأ وما بعدها خبر مثل (ألم ذلك الكتاب) [٥٥].

واستثني من ذلك مواضع فيها للقراء العشر أكثر من وجه[٥٦]: الوقف على الأحرف المقطعة، أو وصلها بما بعدها، وهذه المواضع هي:

- فاتحة سورة آل عمران: {ألم * اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}،فيها أربعة أوجة: الوقف على ألم،أو وصلها مع مابعدها مع قصر الميم وتحريكها بالفتح، أو الوصل مع مابعدها مع إشباع الميم وتحريكها بالفتح.

  ولأبي جعفر السكت على الحروف الثلاثة(ألف،لام،ميم).

- فاتحة سورة يس: {يس * والقرآن الحكيم}، فيها ثلاثة أوجه: الوقف على السين بنون ساكنة،أوالوصل مع تسكين السين وإظهارها(من غير إدغام)، ، أو إدغام نون السين بالواو بعدها.
- فاتحة سورة القلم: { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ }، فيها ثلاثة أوجه: الوقف على النون ساكنة، أو وصلها مع مابعدهامع تسكين النون وإظهارها(من غير إدغام)، أوإدغام النون بالواو بعدها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتكثر الخيرات، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث بالرحمات وعلى آله وأصحابه الطيبين الهداة وبعد:

تناول الباحث في هذه الدراسة الأحرف المقطعة في فواتح سور القرآن من حيث:بيان سورها، وكيفية قراءتها وكتابتها، وأقسامها، والأقوال الواردة في جوه معانيها، حيث ناقش الباحث أبرز هذه الأقوال، وبيّن إعرابها، وكيفية الوقوف عليها، وبعد أن كتب الله تعالى- بفضله ومنّه لهذه الدراسة التمام- خلص الباحث إلى جملة من النتائج والحقائق، على النحو الآتي:

---

[٥٥]. ينظر: الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ص٧٣.

[٥٦]. ينظر: النشر في القراءات العشر المتواترة، للإمام ابن الجزري، بهامش مصحف دار الصحابة في القراءات العشر المتواترة ، اعتنى به:الشيخ جمال الدين محمد شرف، الناشر: دار الصحابة بطنطا مصر، ط١ (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م)، ص٥٠، ص٤٤٠، ص٥٦٤.

١. إنَّ الأحرف المقطعة في فواتح السور، تعددت فيها وجوه التفسير والتأويل، حتى تجاوزت بعض الآراء حدود المعقول، وانحرفت عن جادة العلم والمنطق، ورأينا كيف أن بعض العلماء ذكر آراءً ونقل أقوالاً دون تمحيص مما جعل قوله عرضة للقدح والإنكار، ومع هذا فإن من أقوال المفسرين لها ما هو مقصود وقريب، ولا عيب فيه إلا عدم الدليل، ومنها ما يفقد الدليل مع البعد والغرابة والشطط والتكلف.

٢. إنَّ الأحرف المقطعة في فواتح السور لم يثبت تفسير شيء منها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وليس له شاهدٌ في لغة العرب، فلا يصح الجزم أبداً بصحة معناها.

٣. إنَّ أولى الأقوال المستحسنة هو القول بأنها للتحدي والإعجاز لقلة الاعتراضات على هذا الرأي، ولإجماع العلماء والمفسرين عليه، يليه استحسان القول بأنها أسماء للسور، وردِّ القول أن الإعجاز فيها كونها من حساب الجمل.

٤. إنَّ إعرابها، وكيفية الوقوف عليها، وقراءتها، له وجوه متعددة كلها صحيحة–طبقاً للمعنى الذي حملت عليه، ومعتمدة عند أهل اللغة والتفسير، والقراء العشر الذين تواترت قراءاتهم.

وهذا البحث هو ما وفقني الله عز وجل لتحقيقه وبيانه، فإن أحسنت فمن الله وحده، وإن أسات فمن نفسي، واللهَ أسأل العفو والمغفرة .

سبحان ربِّك ربِّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين،والحمد لله ربِّ العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الجزري ،طيبة النشر في القراءات العشر المتواترة، بهامش مصحف دار الصحلبة في القراءات العشر المتواترة، اعتنى به: الشيخ جمال الدين محمد شرف، الناشر: دار الصحابة بطنطا مصر، ط١ (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م)،
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- ابن عطيه، أبو محمد، المحرر الوجيز، تحقيق المجلس العلمي، فاس، (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).
- ابن كثير، عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ط٢،(١٤١٢هـ-١٩٩١م).
- أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،(١٤١٣هـ-١٩٩٩م).
- الأصفهاني، الراغب، مقدمة جامع التفاسير،تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط١، (١٤٠٥هـ).
- الآلوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، نسخة مصورة عن المطبعة الأميريه، القاهرة.
- الأنباري، محمد بن القاسم، الأضداد،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان،(١٤٠٧هـ).
- الأندلسي أبو حيان، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، نسخة مصورة.
- البخاري، صحيح البخاري بشرح الفتح شرح الحافظ ابن حجر، دار الفكر،بيروت،(١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- البيضاوي، ناصر الدين،أنوار التنزيل وأسرار التأويل،دار الكتب العلمية، بيروت،ط١،(١٤٢٠هـ-١٩٩٩).
- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط١،(١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- الدرويش،محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط٨،(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤،(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار المنامة، مصر، ط٤،(١٣٧٣هـ).
- الرومي، فهد، وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة، مكتبة التوبة، الرياض،(١٤١٧هـ).
- الزجاج، معاني القرآن واعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١،(١٤٠٨هـ)،
- الزركشي، بدر الدين بن محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت،(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- السمرقندي، أبو الليث، بحر العلوم، تحقيق: د. عبد الرحمن الزقة، مطبعة الإرشاد، بغداد،(١٤٢٠هـ).

- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت،(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط٢،(١٣٨٣هـ).
- الطبري، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر و أحمد شاكر، دار السلام، القاهرة، ط١،(١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).
- عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، دمشق،(١٤١٤هـ).
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دارالشروق، ط٢١،(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح بشرح النووي، دار الخير، بيروت، ط٣،(١٤١٦هـ-١٩٩٦م).